عرض كتب

عرض نقدي لكتاب : دراسة الشرق الأوسط. تحرير ليورنارد بايندر

إعداد : أ . د . محمد خليفة حسن

عرض نقدي لكتاب

The Study of the Middle East

Research and Scholarship in the Humanities and the Social Sciences

Edited by. Leonard Binder

John Wiley & Sons, New York, 1976

إعداد : أ . د . محمد خليفة حسن

تعد هذه الدراسة من أخطر الدراسات التقويمية النقدية لدراسات الاستشراق في الغرب، وهدفها الأساسي نقد المنهج الغربي في الدراسات العربية والإسلامية حتى عام ١٩٧٦م، ووضع مخطط لمستقبل هذه الدراسات في الغرب خلال العقود التالية. ونعتقد أن الدراسات النقدية التي اشتملت عليها هذه الدراسة كان لها تأثير كبير على مسيرة الدراسات العربية والإسلامية في الغرب بما قدمته من نقد، وبما قدمته من توصيات في مجال دراسات الشرق الأوسط .

وقد اشترك في إعداد هذه الدراسة عدد من صفوة المتخصصين في الدراسات العربية والإسلامية عامة ودراسات الشرق الأوسط خاصة. وقد اشتملت الدراسة على أحد عشر فصلا تغطي كل المجالات العلمية في الدراسات العربية والإسلامية ودراسات الشرق الأوسط . كتب الفصل الأول محرر الكتاب وهو ليونارد بايندر أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو، وهو عبارة عن مدخل نقدي وضعه تحت عنوان «الدراسات

الإقليمية : تقويم نقدي» وكتب الفصل الثاني تشارلز آدمز أستاذ الدراسات الدينية بجامعة ميجل الكندية، وعنوان بحثه: «التراث الديني الإسلامي». وكتب ألبرت حوراني أستاذ التاريخ في كلية القديس أنطوني بأكسفورد الفصل الخاص بالتاريخ الإسلامي. واشترك في كتابة الفصل الخاص بالأنثروبولوجيا كل من رتشارد أنطون أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة نيويورك الحكومية، ودافيد هارت أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة بنسلفانيا. والأستاذ تشارلز ردمان. وكتب الفصل الخاص بالآثار والفنون الإسلامية أولج جرابر أستاذ الفنون الجميلة بجامعة هارفارد. وكتب الفصل الخاص بالعلوم السياسية وليم زارتمان أستاذ العلوم السياسية بجامعة نيويورك . أما فصل الفلسفة «فقد كتبه سيد حسين نصر أستاذ الفلسفة بجامعة طهران. وكتب جيرنوت وندفور الفصل الخاص باللغويات، وهو أستاذ الدراسات الفارسية بجامعة شيكاغو. وكتب فصل الأدب، كل من روجر ألن أستاذ اللغة العربية بجامعة بنسلفانيا، ووليم هناوني أستاذ اللغة الفارسية بنفس الجامعة، وولترز أندروز أستاذ اللغة التركية بجامعة واشنجتون. وكتب جورج صباغ الفصل الخاص بالاجتماع، وهو أستاذ علم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا. وأخيراً الفصل الخاص بالاقتصاد وقد كتبه جون سيموتز الخبير الاقتصادي بالبنك الدولي والزميل الزائر في الشؤون العامة والدولية بجامعة برنستون.

وفي كل مجال من هذه المجالات، تم تقديم عرض تحليلي نقدي بواسطة المؤلفين، كل في دائرة تخصصه، عن اتجاهات دراسة الإسلام والشرق الأوسط الحديث، وأهداف هذه الاتجاهات، وأبعادها غير العلمية، وأغراضها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتحديد درجة ارتباط هذه الدراسات بالقوى السياسية واهتماماتها بالشرق الأوسط. وتم في هذه

الفصول المختلفة للكتاب تقويم جهود البحث العلمي في الدراسات العربية والإسلامية خلال الحقبة التاريخية الماضية، والتخطيط لمجالات البحث المستقبلية بداية من فترة التسعينات. وبالإضافة إلى النقد العلمي للأعمال التي ظهرت في كل مجال، والاتجاهات التي سادت خلال القرن الماضي، واتجاهات الدراسة في المستقبل يمدنا كاتب كل فصل من فصول الكتاب بقائمة بأهم الدراسات التي صدرت في مجال تخصصه مع نقد بعضها بالإضافة إلى التعريف بالمشروعات التي تم تنفيذها والبرامج الدراسية وما أدخل عليها من تطويرات.

وقد عرض الكتاب لمجموعة من القضايا والمشاكل المرتبطة بدراسات الشرق الأوسط واهتماماتها العربية والإسلامية نحاول أن نوجزها فيمايلي :

أولاً : الدافع السياسي لدراسات الشرق الأوسط :

يقرر ليونارد بايندر، محرر هذا العمل المهم، أن الدافع الأساسي للدراسات الإقليمية في الولايات المتحدة الأمريكية دافع سياسي في المقام الأول. فخلال الحرب العالمية الثانية اكتشف القادة الأمريكيون أن الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من عجز شديد في أعداد المتخصصين المدربين في لغات وحضارات وأديان شعوب العالم، ليس فقط بالنسبة للشعوب الأوروبية ولكن أيضا بالنسبة للشعوب التي كانت خاضعة للاستعمار الأوروبي. وكان الدافع السياسي الرئيس هو كسب النفوذ، والدخول بشكل علمي منسق في صراع القوى الدائر في المناطق النامية والأقاليم التي كانت خاضعة للنفوذ الأوروبي وبناء دور لأمريكا تتمكن من خلاله من فرض سيادتها على المناطق التي تخلى عنها الاستعمار الأوروبي بفعل حركات التحرير المختلفة. ودخل الشرق الأوسط ضمن دائرة

الاهتمام الامريكي، ووجهت الدراسات العلمية لخدمة المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط. ويعترف بايندر بأن أفضل وصف للدراسات التي تناولت الشرق الأوسط بأنها أشبه بعمليات جمع للمعلومات عن شعوب العالم وشعوب الشرق الأوسط أكثر من كونها دراسات علمية أكاديمية لخدمة أهداف علمية بحتة.

ويرى المحرر أن هذا الاستخدام السياسي للعمل العلمي أدى إلى نتيجة سلبية وهى التأثير المباشر على القيمة العلمية لكل دراسات الشرق الأوسط. وينادي بضرورة تأمين استقلال العلم والعلماء عن السياسة، والعمل على تحقيق زيادة واضحة في تأثير العلماء من خلال وضع معايير يمكن بها تقويم العلم والعلماء حتى لاتزدحم مجالات دراسة الشرق الأوسط بالدخلاء غير المتخصصين، والذين لا يلتزمون بالمنهج العلمي ولا بالقيم العلمية. ويحكم المحرر على دراسات الشرق الأوسط بأنها لازالت تتم وتنجز عن طريق التدخل القوي لعدد من الهيئات، والمؤسسات، والشركات، ذات الصبغة غير الأكاديمية. كما أن عددا كبيرا ممن يكتبون في مجال دراسات الشرق الأوسط لا ينتسبون إلى هيئات علمية أكاديمية معروفة، وهم لا يملكون المعرفة الكافية ولا المهارات اللازمة لمثل هذه الدراسات المعقدة.

ويثير المحرر مشكلة على جانب كبير من الخطورة وهي الأزمة المالية التي تتعرض لها المؤسسات العلمية المهتمة بدراسات الشرق الأوسط والتي أجبرتها على البحث عن مصادر ثابتة لتمويل الدراسات العلمية، الأمر الذي أدى إلى التأثير على مبدأ الاستقلال العلمي. فقد اضطرت بعض الجامعات والهيئات العلمية إلى قبول تمويل أبحاثها من جهات ترغب في توجيه بعض الأبحاث لخدمة أغراض معينة. وقد أنخفضت الإسهامات

المالية الحكومية، كما خفّضت مؤسسة فورد من دعمها للبحوث مما اضطر بعض الهيئات العلمية إلى قبول تمويل من شركات ورجال أعمال ومؤسسات لها أغراضها الخاصة. ويحذر المحرر من أن استمرار هذا الوضع المالي المتدهور ربما يؤدي ببعض مراكز البحوث في الجامعات الأمريكية والأوروبية إلى بيع ما تنتجه من أبحاث لمن يرغب في الشراء، فمن الصعب في ظل هذه الظروف المالية الصعبة أن يظل الإنسان أمينا حسب تعبير المحرر.

ومن المشاكل الأخرى التي تواجه دراسات الشرق الأوسط ضعف مستوى الباحثين المتخصصين في أوروبا وأمريكا. ويشير تقرير لامبرت عن مستوى التدريب للدارسين والمتخصصين إلى أن نسبة ١٦,٧٪ فقط من المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط حصلوا على المهارات اللغوية الكافية، وثلث عدد المتخصصين يعرف لغة شرقية واحدة، ونصف هذا العدد يعرف لغتين فقط. ويشير نفس التقرير إلى أن أقل من نصف عدد المتخصصين قضى فترة إقامة تزيد عن عامين للتدريب على اللغة والبحث في إحدى بلدان الشرق الأوسط، وأقل من نصف هذا العدد قضى فترة نصف عام، وأقل من ٢٠٪ منهم عاشوا لمدة ستة شهور في أكثر من بلد واحد في الشرق الأوسط، وكثيرا ما كانت فترات الإقامة هذه لا تعني التفرغ التام للبحث أو لتعلم اللغة، بل كثيرا ما كانت للزيارة أو السياحة. كما أن نسبة كبيرة من غير الأكاديميين يتبعون الأنشطة العلمية المرتبطة بالكنائس النصرانية، وتتبع نسبة أخرى الحكومات، ومما لاشك فيه أن النشاط التنصيري يساهم بشكل فعال في إضعاف المستوى العلمي للمهتمين بدراسات الشرق الأوسط. وهكذا يبدو أن معظم المتخصصين غير مؤهلين علميا أو لغويا، وأن كثيرا منهم غير حاصل على درجة علمية

في التخصص، ويطبقـون منـاهـج علمية تابعـة للعلوم الإنسـانية والاجتماعية، وهناك مجموعة ليس لها منهج على الإطلاق.

ثانيا : أخطاء المنهج الاستشراقي

تناولت هذه الدراسة المنهج الاستشراقي بالنقد العلمي، ومن أهم وجـوه هذا النقـد اعتـماد المستشرقـين في دراسـة الإسـلام والمجتمعـات الإسـلامية على منهـج تم تطويره أصـلا لدراسة الآداب الكلاسيكية في اليونانية واللاتينية والعبرية، وهو منهج لا يصلح لدراسة الآداب العربية والإسـلامية. فقـد عالج المستشرقون التراث الفكري الإسلامي معالجة خاطئة حين نظروا إلى التراث والآداب الإسلامية على أنها صورة محرفة أو مشوهة للتراث اليهودي والهلليستي والروماني والنصراني اعتقادا منهم أن ما يصلح لهذه الآداب يمكن تطبيقـه على تراث العـالم الإسلامي. وكانت النتيجة الوقوع في خطأ تفسير كثير من الظواهر والمفاهيم السائدة في التاريخ الإسـلامي، وفي الحضـارة الإسـلامية، وكـذلك في الدين الإسلامي. فبالنسبة للحضارة الإسلامية مثلا لم يهتم المستشرقون بدراستها كحضارة مجتمعـات إسـلامية حية في منطقة الشرق الأوسط، ولكنهم درسوها كما تدرس الحضـارات الكـلاسيكية القـديمـة معتمـدين على المخـطوطات متجاهلين الحياة الإسلامية المعاصرة كنموذج تاريخي اجتماعي يساعد على فهم الحضارة الإسلامية في الماضي. وأشارت هذه الدراسة إلى خطأ منهجي آخـر وقـع فيه المستشرقـون في محاولـة فهمهم للحضـارة الإسلامية فقد استخدموا فهمهم للحضارة الغربية كمقياس أو معيار لفهم ظواهر فكرية وثقافية في الحضارة الإسلامية. والواجب فهم الثقافة الإسلامية من خلال ألفـاظهـا ومعـانيها، ومن خلال معايير نابعة منها. والمنهج الاستشراقي

يعرض استقلال الثقافة الإسلامية للخطر ويمدنا في نفس الوقت بمعرفة خاطئة لا تصلح إلا لإشباع شعور الغربي بالتعالي على الثقافة الإسلامية، وهو شعور سيطر على كثير من المستشرقين في دراستهم للإسلام وحضارته.

وتوصي هذه الدراسة بضرورة توجيه دراسة الإسلام وحضارته وجهة علمية لا يختلط فيها الهدف العلمي بأهداف أخرى ينتج عنها تشويه المعرفة التي نحصل عليها. والأمر هنا يتعلق بصحة المعرفة، ولهذا يجب طرح التساؤلات التالية: هل نحن نسعى إلى الحصول على معرفة مناسبة تفيد في صنع القرار في سياستنا الخارجية؟ أم أننا نبحث عن معرفة تفيدنا في عقد الصفقات التجارية وفي إدارة أعمالنا؟ أم أننا نبحث عن معرفة تفيدنا في إقناع غيرنا بقيمة وجدوى مشروعاتنا؟ وهنا تدعو الدراسة إلى ضرورة توخي الوضوح التام فيما يتعلق بنوع المعرفة التي نبحث عنها، وعدم الانحراف بالهدف العلمي وإخضاعه للأغراض والمصالح غير العلمية. وذلك لأن الدراسات الإسلامية في الغرب لا تعطي صورة حقيقية للإسلام دينا وحضارة. فالإسلام له تصوره الكامل عن الخلق والطبيعة والكون، ومع ذلك فالاستشراق يفهم هذا التصور المتميز من خلال معايير حضارية غربية فضلا عن اعتماد الاستشراق على معلومات يتم الحصول عليها عن طريق الملاحظة الخارجية التي كثيرا ماتكون خاطئة ومضللة إذا لم يملك الدارس أو الملاحظ المفتاح التفسيري السليم، والإدراك الداخلي، والخبرة الطويلة فضلا عن التعاطف والود الضروريين. وكثير من المستشرقين لم تتوفر في شخصيته هذه الصفات وتلك الإمكانات وكانت النتيجة الوقوع في التعميمات عن الإسلام وحضارته، والخروج بنتائج غير صادقة وبتصور غير حقيقي عن عالم الإسلام والمسلمين. وأصيبت الدراسات الاستشراقية بغياب الموضوعية والأكاديمية العلمية.

واعتمدت بعض الجامعات الأوروبية والأمريكية على سمعتها بينما نجد أن عددا من المتخصصين المنتمين إليها لا يملكون القدرات العلمية. وتنتشر هذه الظاهرة بالذات في أقسام دراسات الشرق الأوسط التي لا تتوفر فيها المستويات الأكاديمية الصارمة، والتي أصبح من السهل فيها أن يصبح الإنسان متخصصا في إقليم ما، أو في دائرة علمية، وأن يحصل على وظيفة فيها دون أن تتوفر فيه الكفاءة المطلوبة في مثل هذه الوظائف.

وعموما، تعاني دراسات الشرق الأوسط من العديد من الأمراض والأخطاء على حد تعبير المحرر. ومن أهم هذه الأمراض سيطرة التصورات والانطباعات الذاتية للدارسين على الموضوعية العلمية. ومنها أيضاً ما يسميه المحرر بالتشويه الأيديولوجي والغموض الرومانسي والتعصب الديني بالإضافة إلى العجز العلمي وعدم الكفاية العلمية للباحثين. وكثيرا ما يغطى هذا العجز العلمي عن طريق التمويه بادعاء تطبيق منهج، أو اتجاه معين، أو نظرية إلى غير ذلك من الطرق التي يخفي بها الدارسون جهلهم.

ولهذا كله تطالب هذه الدراسة بضرورة عدم الاعتماد على السمعة العلمية الكبيرة للمستشرق، بل يجب الاعتماد فقط على الدليل والتفسير العلمي السليم الذي يبرهن به الباحث على صحة نتائجه. كما أنه من الضروري طرح السمعة العلمية والشهرة جانبا ومطالبة الدارس بشرح منهجه أو نظريته التي يطبقها حتى يقتنع المتخصص والقارىء العادي بالنتائج التي يتم التوصل إليها.

إن رؤية جديدة يجب أن تسود في مجال الدراسات الإسلامية في الغرب. وتقوم هذه الرؤية على أساس من الالتزام بمبدأ ينظم العمل العلمي في

هذا المجال المهم. وهذا المبدأ هو أن يحتل موضوع الدراسة المكانة الأولى عند الدارسين، فالموضوعية هي أساس العمل العلمي، وهي أهم من المنهج الذي قد يختلف من تخصص إلى آخر، إذ أنه بدون الموضوعية يمكن تحريف المنهج ليخدم أغراضا غير علمية. هذا إلى جانب أن المناهج والنظريات إنما هي مجردات وضعت لتنظيم المعرفة، والمساعدة على تفسير الظواهر، ومن الواجب العلمي ألا يستغرقنا المنهج على حساب الموضوع، وألا تبتعد بنا النظرية عن الفهم السليم للأشياء والأمور ذات الوجود الفعلي ومن بنود هذه الرؤية الجديدة التخلص من استخدام معايير ثقافية لحضارة أو مجتمع ما للحكم من خلالها على حضارة وثقافة مجتمع آخر. فعلى المستشرق أن ينبذ التعصب لثقافته وألا يتخذ من أحداث تاريخ بلاده وقيمه الثقافية معيارا يحكم به على الوضع العام للإنسان في كل مكان.

وتؤكد هذه الرؤية الجديدة على النظر إلى الإسلام كدين وحضارة معا دون الفصل بينهما، فالدين أساس ومصدر القيم الحضارية للإنسان المسلم. كما تؤكد أيضا على أن المجتمع الإسلامي رافض للعلمانية ولابد من النظر إلى حضارته في ارتباطها بالدين. وتلقى هذه الدراسة اللوم على المتخصصين لأنهم أهملوا دراسة ديانة عظمى كالإسلام، واهتموا بديانات ليس لها ثقل تاريخي أو حضاري أو ديني في عالم اليوم مثل الديانات البدائية. كما أشارت الدراسة إلى الإهمال الذي عومل به الإسلام في مجال مقارنة الأديان، وأن الرغبة في فهم التجربة الدينية الإسلامية تقل كثيراً عن الاهتمام الموجه إلى دراسة تجارب ديانات أخرى مثل الديانات الهندية وديانات الشرق الأقصى. ووجهت الدراسة الاتهام إلى العقل العلمي الغربي الذي يسيطر عليه أشخاص لا تخرج اهتماماتهم العلمية عن دائرة البحث اللغوي والتاريخي، ولا تتوفر فيهم إمكانات البحث الديني

الحضاري . ويظهر هذا في الاهتمام باللغة العربية واللغات الإسلامية على حساب الاهتمام بالدين الإسلامي والحضارة الإسلامية .

ثالثا : نقد الاتجاه التنصيري في دراسة الإسلام

بعد هذا النقد الموجه إلى الاستشراق والدراسات الشرق أوسطية تتجه الدراسة إلى توجيه النقد إلى الاتجاه التنصيري في دراسة الإسلام . ومن أول وجوه النقد ارتباط النشاط التنصيري في العالم الإسلامي بنمو التأثير السياسي والعسكري والاقتصادي لأوروبا في أجزاء من قارتي آسيا وأفريقيا . وهكذا سار التنصير مع الاستعمار وتأثر به، وعمل المنصر تحت سلطة المستعمر.

ومن الحقائق الواضحة في دراسة الإسلام في الغرب أن عددا من المنصرين المرتبطين بالاستعمار سيطروا على مجال الدراسات الإسلامية خاصة في الجامعات الأوروبية والأمريكية . ووجهوا الدراسات العلمية داخل الجامعات لخدمة النصرانية ومساعدة العاملين في حقل التنصير في بناء اتجاهاتهم نحو المسلمين، وتطوير وسائل التنصير، وتكوين النظريات الجدلية التي هاجموا بها الإسلام وشوّهوا صورته من أجل تحقيق أهداف التنصير.

ويرى أصحاب هذه الدراسة أن الاتجاه التنصيري آخذ في الانحسار وذلك لأسباب منها الفشل المستمر في التنصير بين المسلمين وكراهية الأفراد والحكومات في العالم الإسلامي للتنصير بالإضافة إلى تطور نصراني داخلي أصاب المجتمع الأوروبي والتفكير النصراني في بعض دوائره . وهو تطور يرى أن هدف التنصير ليس له مبرراته اللاهوتية ومن هنا فهو ليس من

الأمور الأساسية في الفكر النصراني. وقد أخذ بهذا الرأي جماعة «البروتستانت الليبراليين».

ومن الأسباب الأخرى عدم ترحيب الجهات العلمية الأكاديمية بوجود هذا النشاط التنصيري داخل الجامعات والأقسام العلمية المتخصصة. وهو اتجاه رافض لجهود المنصرين العلمية.

ونرى أنه مع صحة هذه الأسباب المذكورة لكن النشاط التنصيري لم ينحسر بل ازداد ضراوة في السنين الأخيرة خاصة في بلاد العالم الإسلامي، وهناك هجمة تنصيرية جديدة على العالم الإسلامي نراها ونلمسها في الكتابات التنصيرية المتعددة التي تجدد وسائل التنصير، وفي المؤتمرات التنصيرية النشطة، وفي الإذاعات التنصيرية التي تبث برامجها إلى العالم الإسلامي. إن التنصير لم ينحسر ولكنه غيَّر جلده. فقد بدأت جماعات التنصير القديمة المرتبطة بالاستعمار القديم تنتهي لتحل مكانها جماعات تنصيرية جديدة بخطط جديدة، ووسائل متطورة تناسب فترة مابعد الاستعمار. وتدَّعي هذه الدراسة أن «بقايا المنصرين» في العالم الإسلامي إنما يقومون بخدمات لا علاقة لها بالتنصير مثل القيام بالخدمة الدينية للجماعات النصرانية، وإمدادهم بالعون اللازم في مجالات التعليم، والوعظ، وآداء الشعائر والطقوس الدينية، وأيضا في مجالات الطب، والخدمات الاجتماعية، وغيرها من الأعمال المدنية. وهذا الرأي غير صحيح لأن هناك جماعات تنصيرية جديدة ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، ومن بينها جماعات بروتستانتية سميت نفسها «بعثات الإيمان»، وهي تزاول نشاطها في حرية تامة، وتحت حماية سياسية أشبه بالحماية الاستعمارية القديمة. بل إن النشاط التنصيري قد زاد عن حده، وعبَّر عن وجهه السافر

من خلال اشتراك الأقليات النصرانية في العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا في عملية التنصير وذلك بتشجيع من المؤسسات التنصيرية في الغرب.

رابعاً : الدعوة إلى اتجاه علمي جديد في دراسة الإسلام

تخلص هذه الدراسة الناقدة للاتجاهين الاستشراقي والتنصيري في دراسة الإسلام إلى ضرورة ظهور اتجاه جديد يهتم بتقديم صورة حية حقيقية عن الدين الإسلامي والمجتمعات الإسلامية.

ويدّعي محرر هذا الكتاب أن هذا الاتجاه بدأت معالمه في الظهور بعد الحرب العالمية الثانية بتبلور حركة علمية أكاديمية في الجامعات الأوروبية والأمريكية تسعى إلى تحقيق نوع من التذوق للتجربة الدينية الإسلامية، واتخاذ موقف علمي سلمى - أى غير عدائي - تجاه الدين الإسلامي والمسلمين. وينظر إلى الإسلام كموضوع للبحث العلمي الموضوعي الجاد الهادف إلى الحصول على رؤية اعمق للقيم التي يمثلها الإسلام عند المسلمين، والحصول على تصور إيجابي للتدين الإسلامي وللعبادة الإسلامية. وبعض المنتمين إلى هذا الاتجاه تصفهم هذه الدراسة بأنهم من رجال الدين النصارى المتدينين والذين تحركهم دوافع دينية وأخلاقية إلى جانب الدافع الفكري. وقد بذل بعضهم جهدا كبيرا للتغلب على التصور القديم للإسلام والمسلمين عند المستشرقين والمنصّرين، وللتخلص من روح العداوة المسيطرة على نصارى الغرب تجاه الدين الإسلامي وتراثه.

وتسعى هذه الحركة العلمية الجديدة إلى تحقيق نوع من الاتصال المباشر بالمسلمين عن طريق مايسمى بالحوار وبناء جسور من التعاطف المتبادل بين النصرانية والإسلام. وينتشر أصحاب هذا الاتجاه الجديد في الجامعات ويحاولون، قدر الإمكان، الحفاظ على الروح العلمية النقدية اللازمة للعلم

والـدراسـة. وهم يتخـذون موقفـا موضـوعيا عامـا من كل الـديانـات والحضارات ويشعرون أن الإسلام على وجه الخصوص قد ظُلم على يد المستشرقـين والمنصّرين، ولم يأخذ حقه من الدراسة العلمية البعيدة عن التعصب الديني والدوافع غير العلمية.

وتواجه هذه الحركة العلمية بعض الصعوبات في دراسة الإسلام من أهمهـا كيفية التخلص من التشـويه الـذي سببتـه دراسـات الاستشراق والتنصير للإسلام، وكيفية كسب ثقة المسلمين فيهم كجماعة علمية تدرس الإسلام بعيدا عن التعصب القديم. وقد ضاعت هذه الثقة تماما على يد المستشرقـين والمنصّرين الذين لا يثق فيهم المسلمون أبدا. وهناك تجربة طويلة وقـاسية للمسلمين مع الاستشراق والتنصير تمنعهم من تقبل هذا الاتجـاه الجديد حتى يلمسوا النتائج العقلية، ويظهر لهم التغير في نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين.

خامساً: نظرة علميـة جديـدة إلى القـرآن الكـريم وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام

ومن أهـم التـوصيات الإيجـابية التي توصى بها هذه الدراسة النقدية لوضع الدراسات العربية والإسلامية في الغرب التوصية التي تخص القرآن الكريم وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام. فهي توجه النقد واللوم إلى أعـمال المستشرقين والمنصَّرين بسبب أخطائهم العلمية التي ارتكبوها في دراسـة القـرآن الكريم، وتغلب روح النقد الهدام على الروح العلمية، واهتمامهم بموضوعات هامشية وثانوية على حساب الموضوعات الرئيسة. وتعيب عليهم أيضـا عدم محاولتهم فهم القـرآن الكريم، والكشف عن مفاهيمه، وشرح وتفسير محتوياته إذ من النادر أن نجد دراسة لمستشرق أو

منصر حول محتوى القرآن الكريم. وأنهم فصلوا بين القرآن الكريم وبين فهم المجتمعات الإسلامية، وانشغلوا بالمسائل التاريخية وأهملوا الموضوعات الدينية وكانت نتيجة ذلك الفشل في تذوق القرآن الكريم وفهم محتوياته.

ولذلك تطالب هذه الدراسة بالتخلص من العيوب الأكاديمية في دراسة القرآن الكريم، والتركيز على محتوياته ودراستها دراسة متخصصة مستفيضة بعيدا عن المسائل النقدية حتى يمكن فهم الإسلام كدين وحضارة فهما حقيقيا. وطالبت أيضا بضرورة الاهتمام بكتب تفسير القرآن الكريم على مر العصور لمعرفة المعاني التي يكتشفها المسلمون في كتابهم المقدس.

أما سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فقد أوصت الدراسة بضرورة التخلص من الوسائل التي اتبعها المستشرقون والمنصّرون في دراسة السيرة النبوية، والتي كان هدفها تشويه هذه السيرة لخدمة أغراضهم التنصيرية. ولذلك ندرت الأعمال الاستشراقية التي توضح مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام في حياة المسلمين، ودوره كنبي صاحب رسالة، وأسلوبه في الدعوة، ومكانة نبوته في الدين الإسلامي. ولاهمال هذه الجوانب لم تتحقق الفائدة من أعمال المستشرقين في التعريف بأعمال الرسول (عليه الصلاة والسلام) الدينية والتاريخية ومعناها في حياة المسلمين، وقد فشلت أيضا في تقديم فهم المسلمين وتصورهم لسيرة نبيهم (عليه الصلاة والسلام). ونادت الدراسة بالاهتمام بالحديث النبوي، واستخلاص المعاني الإسلامية منه، وتوضيح أهمية هذه المعاني في حياة المسلمين.

سادسا: الصحوة الإسلامية المعاصرة

تعترف هذه الدراسة بأن العالم الإسلامي يمر في الوقت الحالي بمرحلة

«يقظة فكرية» و «صحوة إسلامية» هدفها تحرير المسلمين من ألوان الغزو الفكري الذي نتج عن الاستعمار، وتخليص المسلمين من التدهور الذي أصاب بلادهم. ومن معالم هذه الصحوة ـ كما تقول الدراسة ـ نمو شعور جديد «بالذات الإسلامية» و «الهوية الإسلامية»، والتحرك من أجل بعث القيم الإسلامية الأصلية لمواجهة قيم الغرب المستوردة. وتهدف هذه الصحوة أيضا إلى تحقيق التقدم الإسلامي على أسس إسلامية، وتحديث الأمة الإسلامية مع الحفاظ على ربط حاضر المسلمين بماضيهم وإعادة ثقة المسلمين في قدرة الإسلام على حل مشاكلهم، وتأكيد الصلة الوثيقة بين الإسلام والعلم وبناء الحضارة.

سابعا : سلبيات هذه الدراسة

اشتملت هذه الدراسة على العديد من الايجابيات والتي اتضحت في العرض السابق. ومع ذلك فهي لا تخلو من بعض السلبيات المتوقعة من عمل غربي ناقد لاتجاهات دراسات الإسلام في الغرب ومن أهم هذه السلبيات استشعار روح الاستشراق والتنصير في بعض جوانب من هذا العمل المهم، وهي روح تختفي وراء التمويه بالأكاديمية والموضوعية العلمية وعدم التعصب. ومن الطبيعي أن يصعب على أصحاب هذه الدراسات التخلص التام من تراث الاستشراق والتنصير المنتشر في كل الجامعات الأوروبية والأمريكية، والمستخدم بصفة مستديمه في الأبحاث ومناهج التدريس، ويمثل القاعدة الأساسية لكل معرفة عن الإسلام وعن العالم الإسلامي، ومن المستحيل الاستغناء عن هذا التراث الاستشراقي التنصيري خاصة مع عدم وجود البديل المعرفي الذي يمكن أن يعتمد عليه هذا الاتجاه الجديد في دراساته عن الإسلام والمسلمين. وظهور مثل هذا

الاتجاه يفرض على أصحابه ضرورة الاعتماد على المصادر الإسلامية المباشرة وفي اللغات الإسلامية المعروفة، وعلى رأسها اللغة العربية. فالمصادر الإسلامية الصحيحة هي البديل الحقيقي لمصادر الاستشراق والتنصير إذا كان أصحاب هذا الاتجاه جادين في معرفة الإسلام معرفة سليمة ومن مصادره الأساسية وهذا يتطلب منهم ضرورة الاهتمام باللغة االعربية كلغة للدين الإسلامي وحضارته، وتدريب أنفسهم وتلاميذهم تدريباً شاقاً في تعلم اللغة العربية واللغات الإسلامية الأخرى حتى يتمكنوا من قراءة المصادر الإسلامية وفهمها فهما سليما. وعليهم أيضا أن يهتموا بجمع مادتهم العلمية من خلال الاتصال بالمجتمعات الإسلامية، والجامعات الإسلامية المختلفة، والمراكز الإسلامية المنتشرة في العالم، والشخصيات المسلمة الموثوق فيها.

ومن ناحية أخرى نرى من الضروري أن تنشأ حركة ترجمة نشطة للمصادر الإسلامية الأساسية إلى اللغات الأوروبية. وهو واجب ملقى على عاتق العلماء المسلمين، والمؤسسات الإسلامية المهتمة بالدعوة، والجامعات الإسلامية إذ لابد من توفير المصادر الإسلامية التي تمثل البديل الضروري للمصادر الاستشراقية والتنصيرية ويمكن تحقيق هدفين كبيرين من خلال هذه الترجمة **أولهما** : توفير المصادر الإسلامية للباحثين والمتخصصين من الغرب والمهتمين بالدراسات الإسلامية حتى يتمكنوا من دراسة الإسلام دراسة صحيحة بعيدة عن التأثير الاستشراقي والتوجه التنصيري. والهدف الثاني توفير المصادر الإسلامية التي يستعين بها القائمون على الدعوة الإسلامية في نشر الإسلام والدعوة إليه خاصة في الغرب الأوروبي والأمريكي، إذ أن من العقبات التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية في الغرب عدم توفر المصادر الإسلامية للتعريف بالإسلام،

ولا يجد الباحث عن معرفة الإسلام أمامه سوى المصادر الاستشراقية والتنصيرية التي تقدم له صورة مشوهة وغير حقيقية عن الإسلام والمسلمين.

وعلى كل حال لابد من الاهتمام بهذا الاتجاه الجديد، وتشجيع أصحابه، والسعي إلى الاتصال العلمي بهم، وتذليل بعض العقبات التي تواجههم، ومدهم بالمصادر الإسلامية الضرورية، ويمكنهم من زيارة العالم الإسلامي ليتعرفوا على الحياة الإسلامية، وإمدادهم بالثقافة الإسلامية الصحيحة حتى يتمكنوا من دراسة الإسلام دراسة مبنية على أسس سليمة وبعيدة عن تأثير أعمال المستشرقين والمنصِّرين.

ونرى في النهاية عدم التسرع في الحكم على هذا الاتجاه الجديد وعلى التوصيات التي رفعتها هذه الدراسة القيمة. فالحكم عليه يجب أن ينتظر حتى تخرج الأعمال العلمية التي يمثلها هذا الاتجاه إلى النور. ونكتفي بالقول بأن هذه الدراسة تعتبر بحق شهادة علمية غربية على بطلان وفساد منهج الاستشراق والتنصير في دراسة الإسلام، وعدم جدوى الدراسات الاستشراقية والتنصيرية في الوصول بالغرب إلى فهم حقيقي للإسلام وللمجتمع الإسلامي.

والله ولي التوفيق.